روسيا في جنوب سوريا: بواعث قلق إسرائيلية وأردنية

في ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر، وللمرة الأولى منذ أن بدأت موسكو حملتها الجوية في سوريا، أفادت بعض التقارير أن الطائرات الروسية استهدفت قوات الثوار في جنوب البلاد. وتركزت الضربات على "تل هارا" – الواقع على بُعد تسعة عشر كيلومتراً تقريباً من الحدود الإسرائيلية – وغيرها من المواقع في محافظة درعا.

نداف بولاك
معهد واشنطن للدراسات الاستراتيجية

وتثير هذه العمليات مخاوف في إسرائيل والأردن، ومن المرجح أن تختبر علاقات روسيا مع كلا البلدين. بيد، يجب أن لا تأتي الضربات كمفاجأة. ففي مدى الأسابيع القليلة الماضية، أشارت التصريحات الروسية، والمناورات الدبلوماسية وديناميات القتال التي اتبعتها موسكو أن خططها قد تتوسع إلى مناطق أخرى، بما فيها جنوب سوريا.

التصريحات الروسية

في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر، وخلال الاجتماع السنوي لـ "نادي النقاش الدولي فالداي" – [الذي هو عبارة عن اجتماعات دورية للخبراء البارزين المتخصصين في دراسة السياسة الداخلية والخارجية لروسيا] التي تمنح المشاركين فرصة نادرة للتعاطي مع المسؤولين الروس – تحدّث الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وشخصيات أخرى حول استراتيجية الكرملين في سوريا. ووفقاً لمذكرة صادرة عن "مجموعة أوراسيا"، أشارت بعض هذه النخب الروسية أن التدخل سيمتد إلى الجنوب. وأضافت أن الجيش السوري و »حزب الله«والقوات الإيرانية ومختلف الميليشيات الشيعية، سيكونون بمثابة المقاتلين على أرض المعركة بالنسبة للتدخل العسكري بأكمله، ويتم دعمهم بواسطة الضربات الجوية الروسية. وقد تركزت هجمات روسيا وحلفائها حتى الآن على شمال ووسط سوريا، إلا أن الضربات التي شُنت يوم الأربعاء تشير إلى أنهم قد يميلون الآن إلى إيلاء المزيد من الاهتمام إلى [المناطق] الجنوبية.

التقدم على أرض المعركة نحو الجنوب

في منتصف تشرين الأول/أكتوبر، نجحت مجموعة مكونة من الجيش السوري وتعزيزات »حزب الله« والميليشيات المحلية الموالية للنظام في رد الثوار على أعقابهم في أعقاب هجوم شنه هؤلاء في جنوب محافظة القنيطرة. وأفادت بعض التقارير أن »حزب الله« زجّ حوالي ٥٠٠ مقاتل إلى المعركة، مما ساعد النظام على استعادة السيطرة على مرتفع "تل الأحمر"، أو ما يسمى بـ "مرتفع الأمم المتحدة"، ومخافر هامة أخرى التي يمكن أن تساعد قوات بشار الأسد على توسيع سيطرتها في المنطقة. وليس من الواضح حتى الآن ما إذا كان الجيش السوري سيستفيد من هذا التقدم في القنيطرة أم سيحافظ ببساطة على الوضع الراهن.

ومن وجهة نظر النظام، إن قطع الروابط اللوجستية والعملياتية بين الثوار في جنوب سوريا وأولئك في ضواحي دمشق يُعتبر أمراً حاسماً للدفاع عن العاصمة. وتشير بعض التقارير إلى أن النظام يقوم بالفعل بتركيز قواته لشن هجوم جديد في الجنوب. وإذا قرر الجيش المضي قدماً في خططه، فقد يطلب زيادة الدعم الجوي الروسي. وكان سلاح الجو السوري قد شن من قبل هجمات في جنوب البلاد، لكنه كان متردداً في تنفيذ غارات جوية بالقرب من الحدود الإسرائيلية منذ أيلول عام ٢٠١٤، عندما تم إسقاط إحدى طائراته المقاتلة بعد عبورها المجال الجوي الإسرائيلي. إن طلب شن ضربات جوية روسية هو خطوة ذكية، لأن دمشق ربما تفترض أن إسرائيل لن تتحدى القوات الجوية الروسية.

المناورات الدبلوماسية

في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر، أعلن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن روسيا سوف تنسق عملياتها العسكرية مع الأردن، وتشمل هذه الضربات الجوية. وإذا ما خططت موسكو في الواقع توسيع حملتها الجوية في جنوب سوريا، فإن إقامة آليات للتنسيق مع عمان هي خطوة ضرورية. وبالنسبة لنظام الأسد، يعتبر إقليم درعا في جنوب البلاد المنطقة التي بدأ فيها التمرد، لذا فإن استعادة السيطرة على هذه المساحة قد ترمز إلى القوة والعودة إلى الاستقرار. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف، يتعيّن على الأسد وحلفائه إضعاف الثوار في الجنوب، الأمر الذي يتطلب تحقيق سيطرة أكثر حزماً على المعابر الحدودية مع الأردن.

في أوائل عام ٢٠١٥، شاركت قوات النظام مع »حزب الله« وإيران وأفراد من ميليشيات شيعية أخرى لشن هجوم مفاجئ في شمال غرب درعا، الأمر الذي أبرز مدى الأهمية التي يوليها [التحالف الإيراني] لهذه المنطقة. بيد، وفقاً لتقرير "المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات" من أيلول/سبتمبر، انتهى الهجوم في آذار/مارس دون تحقيق أي مكاسب كبيرة. وفي ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر، كتبت صحيفة لبنانية مقربة من »حزب الله« أن الجيش السوري يخطط للقيام بهجوم جديد في المنطقة، وأن الغارات الجوية الأخيرة هي جزء من هذه العملية.

وتشكل مدينة درعا ومحيطها أيضاً أهمية كبيرة للأردن، حيث أن أي عمليات قتالية تحدث في تلك المنطقة يمكن أن تؤثر على أمن الحدود فضلاً عن تدفق اللاجئين إلى المملكة. ووفقاً لبعض التقارير تدعم الأردن المعارضة هناك عن طريق تقديمها المشورة والتسليح، وينعكس ذلك أساساً من خلال "قيادة العمليات العسكرية" في عمان، التي تساعد الثوار بالسلاح وعمليات التخطيط.

التداعيات على إسرائيل والأردن

بالنسبة لإسرائيل، سيكون النشاط الجوي الروسي المستمر بالقرب من حدودها إشارة مثيرة للقلق. فإذا استخدم »حزب الله« وإيران الغطاء الجوي الروسي من أجل الاقتراب من الحدود، فإن قواتهما سوف تجتاز إحدى الخطوط الحمراء التي وضعتها إسرائيل. وكانت بعض التقارير قد ذكرت في وقت سابق من هذا العام، أن هذا السبب هو الذي أدى إلى لجوء إسرائيل إلى استهداف »حزب الله« وقادة إيرانيين في مرتفعات الجولان. وقد نقلت القدس هذا الخط الأحمر وخطوط حمراء أخرى إلى الروس أكثر من مرة، لذلك فإن أي تحديات إضافية يشكلها »حزب الله«/إيران في الجولان ستختبر إلى حد كبير التنسيق الإسرائيلي –الروسي. كما ستختبر أيضاً العلاقات الروسية الإيرانية – حيث لا تريد موسكو أن تغيظ إسرائيل من خلال تسهيل الاستفزازات الإيرانية من جهة، بينما تحتاج إلى المقاتلين الإيرانيين على أرض المعركة لمحاربة الثوار من جهة أخرى.

أما بالنسبة للأردن، فبإمكان حملة جوية مكثفة جداً في درعا أن تزيد من تدفق اللاجئين عبر الحدود. ومنذ أن بدأت روسيا ونظام الأسد هجومهما في الشمال، أفادت بعض التقارير أن أكثر من ١٢٠،٠٠٠ شخص من المدنيين قد غادروا منازلهم هرباً من القتال. وإذا كان هذا أي مؤشر على ما يمكن أن يحدث في درعا، ينبغي أن تكون الأردن قلقة [من تطور الأحداث]. فالمملكة تعاني بالفعل من الضغوط المالية ووطأة البنية التحتية من جراء مساعدة مئات الآلاف من اللاجئين في أراضيها، وإذا ما استمر العديد منهم في الوصول إليها، فستكون قدرتها على مساعدتهم محدودة.

وتريد الأردن وإسرائيل أيضاً إبعاد الفصائل المتطرفة النشطة في جنوب سوريا. وقد تمكنت حتى الآن من فعل ذلك، إلا أن قيام وجود أكبر لروسيا والنظام السوري في جنوب البلاد قد يغير ذلك. وكما أشار محللون آخرون، فإن التدخل الروسي في شمال سوريا يدفع بالفعل المزيد من الفصائل الأكثر اعتدالاً في أيدي الجماعات المتطرفة مثل ذراع تنظيم »القاعدة« – »جبهة النصرة« – وليس هناك أي سبب للإعتقاد بأن الديناميكية في جنوب البلاد ستكون مختلفة. وفي الماضي تعاون الثوار المعتدلون في الجنوب مع »جبهة النصرة«، لذا فأنهم يتشاركون بالفعل ببعض الروابط العملياتية. وإذا ما أمن هؤلاء الثوار بأنهم تُركوا لوحدهم في مقارعة النظام وروسيا، فمن المرجح أن يقوم البعض منهم على الأقل بتعزيز علاقاته مع »جبهة النصرة«أو غيرها من الجماعات المتطرفة، وخصوصاً أن الأردن قد وافق على ما يبدو على التنسيق مع موسكو. ومن شأن قيام جبهة معتدلة أكثر ضعفاً وجبهة أخرى متطرفة أن يشكل تهديداً واضحاً لإسرائيل و الأردن.

ما هي خيارات الأردن وإسرائيل؟

على الرغم من عدم وجود العديد من الخيارات لأي من البلدين لإبعاد القوات الجوية الروسية من جنوب سوريا، بإمكان إسرائيل أن تؤكد مرة أخرى لموسكو بأنها ستتخذ الإجراءات اللازمة إذا انضمت عناصر إيرانية وأخرى من »حزب الله« إلى أي هجوم بري على مقربة من الحدود. ولا يزال السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو ما إذا كانت اسرائيل ستقوم في الواقع بشن ضرباتها إذا تواجدت القوات الروسية في المنطقة، ولكن إعادة صياغة خطها الأحمر الذي كررته مراراً ، قد يمنح موسكو مهلة [للتفكير] حول تمكين جبهة مكونة من »حزب الله« وإيران في الجولان.

وإذا ما اقترب مقاتلو »حزب الله«، أو وكلاء إيرانيين آخرين، أو جنود سوريين من الحدود، فقد تستخدم إسرائيل نيران أرضية ضدهم، بما فيها المدفعية أو الدبابات. ومن الممكن أيضاً أن تستخدم أسلحة المواجهة من مجالها الجوي. بيد، أن كلا الخيارين محفوف بالمخاطر لأنهما قد يؤديا إلى تصعيد الموقف مع أي قوات روسية عاملة في المنطقة. وكما هو معروف تحدث أخطاء غير متوقعة في حالات القتال – بغض النظر عما إذا كانت هذه قد وقعت جراء اعتراض قذائف المدفعية الإسرائيلية لدعم الجوي الروسي القريب، أو خطأ بشري في التعرف على الهدف، أو مشاكل مماثلة ؛ إن كل ذلك قد يزيد من احتمال الاحتكاك بين إسرائيل وروسيا.

ونظراً لخياراتهما المحدودة، ينبغي أن تعبّر عمان والقدس عن مشاعر قلقهما لحليفهما الوثيق وهي الولايات المتحدة – التي يمكن بدورها أن تنقله الى موسكو. لدى كل من الأردن وإسرائيل جيش قوي، ولكن ليس بمستوى الجيش الروسي. إن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي تشارك حالياً في المستنقع السوري التي يمكن أن تضمن مصالحهما.

في الوقت الراهن، لا يشكل جنوب سوريا أولوية قصوى بالنسبة لروسيا ولتحالف القوات البرية الذي يقاتل معها، في الوقت الذي تدور فيه معارك ضارية مستمرة في حلب وحماة وأماكن أخرى في شمال البلاد. ومع ذلك، قد يكون الجنوب جزءاً من استراتيجية روسية أوسع نطاقاً، وما يزال بإمكان موسكو تخصيص بعض الموارد إلى المنطقة حتى في الوقت الذي تنهمك فيه في مناطق أخرى. وإذا ما أدت الغارات الجوية في جنوب البلاد في الأسبوع الأخير من تشرين الأول/أكتوبر إلى توسيع نشاط الروس والنظام السوري وحلفائهم هناك، فإن هذه الضربات ستختبر علاقات موسكو المعقدة مع إسرائيل والأردن وإيران و »حزب الله«. ولمنع هذا التصعيد أو إدارته، يجب على القدس وعمّان أن تطلبا من واشنطن التأكد من أن روسيا تأخذ مصالحهما بعين الاعتبار، لا سيما فيما يتعلق بالعمليات التي تقوم بها إيران و »حزب الله« بالقرب من الحدود.

بروز تنظيم "الدولة الإسلامية": البقاء والتوسع

كان أبو مصعب الزرقاوي، قوة لا غنى عنها في تشكيل تنظيم »القاعدة في العراق« وقيادته، وهذه الجماعة هي سلف تنظيم »الدولة الإسلامية في العراق والشام« (»داعش«)/»الدولة الإسلامية«. ويستمر الزرقاوي في التأثير على المؤمنين برؤيته وتكتيكاته بعد فترة طويلة من وفاته في عام ٢٠٠٦ في غارة جوية أمريكية. ومن خلال الموهبة القيادية التي تمتع بها وعبر العرض المروع للعنف، جمع البعثيين السابقين الساخطين والإسلاميين المتطرفين من أجل بدء تمرد فعّال ضد الاحتلال الأمريكي في العراق.

جوبي واريك، ويل ماكانتس، وهارون ي. زيلين
معهد واشنطن للدراسات الاستراتيجية

جوبي واريك

وخلال الفترة التي قضاها في السجون الأردنية في التسعينيات، تطرف الزرقاوي وحوّل نفسه من بلطجي وسفاح الشارع إلى زعيم. وعمل على إنماء شخصية قوية ولا تهاب، وهي التي جذبت أتباعه وجعلته يؤثر على السجناء من بين الأكثر تعليماً وخبرة. وعندما حاول الانضمام إلى تنظيم »القاعدة في أفغانستان« عقب الإفراج عنه في وقت مبكر من عام ١٩٩٩، اعتبره أسامة بن لادن، قائد التنظيم، متطرفاً جداً بالنسبة للجماعة.

وفي الواقع، اختلف الزرقاوي بشكل كبير مع بن لادن حول أهداف تنظيم »القاعدة« واستراتيجيته. إذ لم يهتم الزرقاوي في مناهضة جميع المسلمين. فعندما خطط لاستراتيجيته في العراق، رأى فرصة لحشد الدعم السني عن طريق استغلال التوترات الطائفية وإشعال النار. وقد تعززت جهوده في التجنيد عندما استشهد به وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولن باول، عن طريق الخطأ، كحلقة وصل بين تنظيم »القاعدة« والرئيس العراقي السابق صدام حسين، الأمر الذي أكسبه شهرة وأتباع.

وكمنت الأهداف الأولى للزرقاوي في العراق في السفارات والأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية والقادة الشيعة، وذلك بهدف عزل كل طرف من الأطراف وإجبار الولايات المتحدة على الوقوف في منتصف الحرب الطائفية الناجمة عن ذلك. ولم يكمن هدفه في تحرير العراق بل في دفع السنة إلى إنشاء دولة دينية. وقد رفض مطالبات قادة تنظيم »القاعدة« وغيرهم من القادة الذين اعتبروا أن السنة ليسوا على استعداد لإدارة دولتهم الخاصة بعد.

وبدلاً من الإرشاد المُسهَب لـ تنظيم »القاعدة«، نشر الزرقاوي مقاطع فيديو عنيفة لجذب المسلمين المتطرفين. وأدرك أنه يمكن لأشرطة الفيديو التي تُظهر الإعدامات أن تحمل تأثيراً دعائياً أكبر من التفجيرات التي تؤدي إلى وقوع أعداد هائلة من الإصابات. وقد تم تعزيز جهوده من قبل ضباط الجيش العراقي السابقين الذين كانوا من ذوي الخبرة في تشغيل الأجهزة الأمنية. وقد حافظ على شبكة استخبارات وإمدادات هائلة في العراق وتملّص من القوات الأمريكية على مدى أكثر من عامين.

وفي حين ركّز تنظيم »القاعدة« على عدو الإسلام البعيد، ركّز الزرقاوي على العدو القريب، أي الدول المحلية والحكام المحليين، وذلك بهدف إعادة إحياء الخلافة عبر الحصول على دعم واسع النطاق من الأسنة. وبعد ثماني سنوات من مقتل الزرقاوي، أعلن أبو بكر البغدادي علناً عن تحقيق هذا الهدف في مسجد في الموصل، وأثنى في إعلانه على الزرقاوي، وليس على بن لادن.

ومنذ ذلك الحين، أظهر ما يسمّى بـ تنظيم »الدولة الإسلامية« مهارة في جمع الإيرادات. وحتى عند وصول سلفه تنظيم »القاعدة في العراق« إلى الحضيض خلال عام ٢٠٠٩، تمكن تنظيم »داعش« من جمع ٢٠٠ إلى ٢٥٠ مليون دولار سنوياً، وذلك بشكل حصري تقريباً من خلال عمليات الخطف والابتزاز. أما اليوم، ومع توسّع تنظيم »الدولة الإسلامية« في الأراضي، فإنه يكتسب المزيد من العائدات من الضرائب والنفط والآثار وتجارة الرقيق. لكن قد تظهر صعوبة في هذا الإطار، إذا أصبحت المعاشات المخصصة لأسر المقاتلين الذين قتلوا في ساحة المعركة عبئاً مالياً لا يمكنها تحمله. فهذه العوامل تلزم تنظيم »داعش« على توسيع قاعدته الضريبية باستمرار. ومع ذلك يصعب تعطيل آليات التمويل الذاتي التي يتمتع بها.

أما بالنسبة إلى البروز المحتمل لـ "الصحوة" السنية التي قد تتحداه في السيطرة على الأراضي، فإن تنظيم »الدولة الإسلامية« يدرك التهديد ويعلن عن عقوبات قاسية كرادع ضد المتآمرين المحتملين. وفي حين نجحت القوات الأمريكية تحت قيادة الجنرال ستانلي ماكريستال في عمليات القتل المستهدفة ضد تنظيم »القاعدة في العراق« في الماضي، فإن هذا الخيار غير متوفر ضد تنظيم »داعش«. وبدلاً من ذلك ، [أصبح] السنّة هم المحور الأهم في أي استراتيجية لهزيمة التنظيم.

قبل حرب العراق، تصوّر الزرقاوي إقامة »الدولة الإسلامية« باعتبارها نواة الخلافة، ونظر إلى الصراع اللاحق باعتباره أفضل فرصة لتحقيق طموحاته. وقد أبعدته هذه الاستراتيجية عن التنظيمات الجهادية الأخرى التي تعتبر الولايات المتحدة عدوها الرئيسي.

ويل مكانتس

وفي حين افتقر الزرقاوي إلى رؤية سياسية متطورة، قدم المنظّرون الآخرون إطاراً لمشروعه القائم على بناء الدولة. ففي عام ٢٠٠٤، كتب أحد أعضاء تنظيم »القاعدة« كتاب "إدارة التوحش"، وهو عبارة عن خطة لإنشاء دولة دينية. إذ فصّل كيف يجب على الجهاديين استغلال الفراغات الأمنية القائمة أو إنشاء فراغات خاصة بهم من خلال مهاجمة البنية التحتية الحساسة للدولة. فعند انحسار الدولة من أجل توحيد صفوفها وتنظيمها، يمكن للجهاديين ملء هذا الفراغ لتقديم الخدمات الاجتماعية والأمنية. وفي مرحلة ثانية، يمكن لهذه الأماكن التي يحكمها الجهاديون أن تتواصل مع بعضها البعض من أجل إقامة دولة. وفي هذا السياق، كان إعلان أبو بكر البغدادي الخلافة في عام ٢٠١٤ أول ادعاء مثيل جدير بالتصديق منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية.

ويتجلى العامل الرئيسي لهذه الاستراتيجية في جذب دعم المحليين السنّة، وهي قضية ثبت أنها تشكل فرقاً جوهرياً بين تنظيمي »القاعدة« و »القاعدة في العراق« بقيادة الزرقاوي. واعتبرت القيادة المركزية أن الاستحواذ على القلوب والعقول أمر ضروري لدعم برنامجها السياسي، في حين تمثل رأي الزرقاوي في العمل لتحقيق هدف واضح من خلال الدقة والعنف إما لكسب الدعم السني أو لإجبار السنة على الخضوع لأهدافه. وقد نصح تنظيم »القاعدة« بعدم اعتماد هذا النهج المتسارع في بناء الدولة، فتكتيكات الزرقاوي أغضبت العشائر والجماعات المتمردة السنية، وتم تمكين سخطها وتوجيهه من قبل الوجود العسكري الأمريكي في العراق، مما أدى إلى التراجع عن أول مشروع لـ »الدولة الإسلامية« بين العامين ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩. وبحلول ذلك الوقت، كانت الحركة قد تدهورت لتتحول من كونها عبارة عن تمرد قابل للاستمرار إلى منظمة إرهابية سرية.

لكن بعد هذه النكسة اعتمدت الجماعات التابعة لـ تنظيم »القاعدة« علم تنظيم »الدولة الإسلامية« ومشروع بناء الدولة في الأماكن التي كانت فيها الدولة العراقية قيد الانهيار أو غائبة. وابتداءً من عام ٢٠١٢، وفّرت الحرب الأهلية السورية فرصة إضافية للتنظيم. فقد أدركت عدّة عشائر عربية سنية أنها محرومة من حقوقها وعلى استعداد لمساعدة تنظيم »داعش« لأنها رأت أنه البديل الأفضل إما للنظام الأسد أو للدولة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة على نحو متزايد. وفي البداية، تعاون تنظيم »الدولة الإسلامية« مع الفصائل الأخرى في هذه الأماكن، ولكن مع مرور الوقت سعى إلى فرض جدول أعماله والقضاء على المنافسين.

وفي النهاية، ربما سيكون مصير التنظيم مماثلاً لمصير غيره من "الدول" الجهادية التي انهارت جميعها. ومع ذلك، لم تفشل هذه الدول بسبب سوء الحوكمة أو الوحشية المفرطة ، وإنما لأنها جذبت أعداءً أجانب أقوياء وحازمين. وفي حين أن تنظيم »داعش« قد خلق العديد من الأعداء في العراق وسوريا، إلا أن معظمهم يركز حالياً على أولويات أخرى. وعلى الرغم من أن جهوده المستمرة بغزو جميع أراضي المسلمين ستكسبه المزيد من الأعداء، إلا أن الاضطرابات المستمرة في المنطقة وغياب الإرادة لدى أولئك الذين يعارضونه قد تسمح للتنظيم

بالانتشار والتوسع. ويعترف تنظيم »الدولة الإسلامية« بحدود معينة، بيد أنه يعرف أنه لا يمكنه التقدم نحو مكة المكرمة ولا القدس في الوقت الحاضر.

وخلاصة القول، إن نهج الولايات المتحدة السابق في العراق خلال "صحوة الأنبار" يشكل أيضاً العامل الرئيسي لهزيمة تنظيم »داعش« في الوقت الحالي. إن دعم العشائر العربية السنية يجب أن يكون نقطة محورية في أي استراتيجية لمواجهة الجماعة، وهو شرط يستثني بالتأكيد إيران وروسيا من أي تحالف قابل للاستمرار ضد تنظيم »الدولة الإسلامية.«

هارون زيلين

يدّبع تنظيم »الدولة الإسلامية« نمطاً في توسيع السلطة وتطويرها وتوطيدها. وعلى الرغم من أن هذا النهج كان في البداية عبارة عن عملية مؤقتة تتكيف حسب الظروف، إلا أنها تتم الآن بشكل منهجي، وهذه البيروقراطية تسمح للتنظيم بالعمل باستمرار عبر المحافظات المختلفة وبين الأراضي والمناطق الرئيسية وتلك الواقعة في المحيط الخارجي. وفي حين تدّم بعض الخطوات في آن واحد، غالباً ما تكون هذه العملية عبارة عن تقدم خطي متسلسل: العمليات الاستخباراتية، تليها العمليات العسكرية، وأنشطة الدعوة وأنشطة الحسبة (الشرطة الأخلاقية وحماية المستهلك) والحوكمة.

وتشمل المرحلة الاستخباراتية تنظيم الخلايا النائمة وتسلل المجموعات المختلفة. وفي الأراضي مثل سيناء وليبيا وسوريا، لا يبدأ تنظيم »الدولة الإسلامية«عمله من الصفر، بل يدمج الشبكات الجهادية الموجودة في إطاره، مما يسمح للجماعة باكتشاف التضاريس المحلية بسرعة. وبعد ذلك يدّبع التنظيم أساليب قتالية غير متماثلة مثل هجمات الكر والفر والسيارات المفخخة. أما الأنشطة "التبشيرية"، والتي تشمل الأطراف المتلقية للدعاية وتوزيع بطاقات هوية إلكترونية، فهي تسمح للجماعة بإبلاغ السكان الخاضعين لسيطرتها، وتوجيه خطابها العام، وتوحيد كوادرها. كما وتم إنشاء مكاتب العلاقات العامة لجمع الأطراف المتخاصمة سوية وإدارة التحكيم، في حين تشمل أنشطة الحسبة حرق المواد المحظورة والرموز الدينية غير السنية. بعد ذلك يفرض تنظيم »داعش« الضرائب وقوانين أوسع نطاقاً ويقدم الخدمات الاجتماعية. وفي الوقت الحالي، تشكل مصادرة الأملاك أكبر مصدر لإيرادات الجماعة، ولكن هذا أمر لا يمكن الاعتماد عليه على المدى الطويل.

ويفتقر تنظيم »داعش« إلى السيطرة الكاملة في معظم المناطق، ولكنه يعمل على تحقيق مستوى من الحياة الطبيعية في جميع أنحاء مناطقه وأراضيه. فالأعلام السوداء موجودة في كل مكان، وقد تم إعادة تسمية بعض المناطق، كما تُظهر مشاريع الأشغال العامة أن الجماعة تقدم الخدمات للسكان المحليين. بالإضافة إلى ذلك أعاد التنظيم تشغيل العديد من الصناعات مثل معالجة المياه والزراعة وإنتاج السلع.

وبقيت السلطات في تنظيم »الدولة الإسلامية« يقظة ضد أخطار "الصحوات" المحتملة، وذلك عبر قمع ثلاث صحوات حتى الآن في العراق وليبيا ودير الزور في سوريا. إلى جانب ذلك فهي ترصد بدقة الإنترنت ووسائل الإعلام، وبعد بسط سيطرتها في المنطقة، اعتمدت برامج إعادة تأهيل للقادة المحليين والمواطنين. أضف إلى ذلك أنها تستخدم المكائد للقضاء على المعارضة. وفي حين أن بعض الأفراد في الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم »داعش« يلتزمون بقضية الجماعة، فإن البعض الآخر يبقى صامداً فقط للبقاء على قيد الحياة. وبمجرد رسوخه سيصبح من الصعب استئصال التنظيم، على الرغم من أن قبضته أقل شدة في سوريا مما هي عليه في العراق . فالأراضي الوحيدة التي خسرها تنظيم »الدولة الإسلامية« هي تلك التي لم يفرض عليها سيطرته الكاملة قط.

ملخص

وأخيراً، في حين يركز تنظيم »داعش« على عدو قريب في الوقت الحالي، يمكنه في النهاية استخدام أراضيه كملاذ آمن لشن عملية إرهابية أجنبية واسعة النطاق على غرار هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، وذلك بهدف كسب الأتباع وارتداء عباءة تنظيم "القاعدة".